(٩٥) سورة التين

في رحاب السورة الكريمة

سورة عظيمة مكية آياتها ثمانٍ نزلت بعد سورة البروج تعالج موضوعين هامين هما:

أولا: تكريم الله عز وجل للنوع البشرى.

ثانيا: موضوع الإيمان بالحساب والجزاء.

بدأت السورة الكريمة بالقسم بالبقاع المقدسة والأماكن المشرفة التى خصها الله تعالى بإنزال الوحى فيها على أنبيائه ورسله وهى "بيت المقدس" "وجبل الطور" بسيناء و "مكة المكرمة" ثم وبخت الكافرين على شركهم وإنكارهم للبعث والنشور، وختمت ببيان عدل الله تعالى بإثابة المؤمنين وعقاب الكافرين.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ۝٣ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ۝٥ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۝٦ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ ۝٧ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ۝٨ ﴾

معانى المفردات:

التين والزيتون: منبتها من الأرض المباركة طور سنينين: جبل المناجاة

البلد الأمين: مكة المكرمة

أحسن تقويم: أعدل قامة وأحسن صورة

اسفل سافلين: إلى الهرم وأرذل العمر

غير ممنون: غير مقطوع عنهم بالدين والجزاء

التفسير:

﴿ وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ﴾ هذا قسم من الله عز وجل أى أقسم بالتين والزيتون لبركتهما وعظيم نفعهما قال ابن عباس "هو نبتكم الذى تأكلون وزيتونكم الذى تعصرون منه الزيت[1] وقال عكرمة: أقسم تعالى بمنابت التين والزيتون فالتين ينبت كثيرا بدمشق، والزيتون بيت المقدس.. وهو الأظهر[2] ويدل عليه أن الله تعالى عطف عليه بالأماكن "جبل الطور" والبلد الأمين "مكة المكرمة" فيكون قَسَمٌ بالبقاع المقدسة التى شرفها الله تعالى بالوحى والرسالات السماوية ﴿ وَطُورِ سِينِينَ ﴾ أى وأقسم بالجبل المبارك، الذى كلم الله عليه موسى وهو طور سيناء ذو الشجر الكثير الحسن المبارك قال الخازن: سمى "سينين" و "سيناء" لحسنه وكونه مباركا وكل جبل فيه أشجار مثمرة يسمى سنين وسيناء[3] ﴿ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ﴾ أى وأقسم بالبلد الأمين "مكة المكرمة" التى يأمن فيها من دخلها على نفسه وماله كقوله تعالى "أو لم يروا أنا جعلنا حرما أمنا ويتخطف الناس من حولهم"[4] قال الألوسى والغرض من القسم بتلك الأشياء الإبانة عن شرف البقاع المباركة وما ظهر فيها من الخير والبركة ببعثه الأنبياء والمرسلين وقال ابن كثير "ذهب بعض الأئمة إلى أن هذه الأماكن قد بعث الله فى كل منها نبيا مرسلاً من أولى العزم من الرسل أصحاب الشرائع الكبار فالأول محله التين والزيتون وهى "بيت المقدس" بعث الله فيها عيسى عليه السلام ﴿ وَطُورِ سِينِينَ ﴾ حيث كلم الله تعالى موسى عليه السلام والبلد الأمين الذى من دخله كان آمنا وهو الذى بعث فيه خاتم الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ[5] وجواب القسم قوله تعالى ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ أى خلقنا الجنس البشرى فى أحسن شكل، متصفا بأحسن وأكمل الصفات من حسن الصورة وانتصاب القامة وتناسب الأعضاء مزينا بالعلم والفهم والعقل والتميز قال مجاهد: أحسن تقويم أحسن صورة وأبدع خلق[6] ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴾ أى ثم

---

(١) القرطبى ١١٠/١٩.

(٢) البحر المحيط ٤٨٩/٨.

(٣) تفسير الخازن ٢٦٦/٤.

(٤) الآية (٦٧) سورة العنكبوت.

(٥) روح المعانى ١٧٣/٣٠.

(٦) تفسير الطبرى ١٥٦/٣٠.

أنزلنا درجته إلى أسفل سافلين لعدم قيامه بموجب ما خلقناه عليه فلذلك سنرده إلى أسفل سافلين وهى جهنم قال مجاهد والحسن "أسفل سافلين" أسفل درجات النار وقال الضَّحاك: أى رددناه إلى أرذل العمر وهو الهرم بعد الشباب والضعف بعد القـــوة[1] وقال الألوسى والمتبادر من السياق الإشارة إلى حالة الكافر يوم القيامة وأنه يكون على أقبح صورة وأبشعها بعد أن كان على أحسن صورة وأبدعها[2] ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ أى إلا المؤمنين المتقين الذين جمعوا بين الإيـــمان والعمـــل الصالح ﴿ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴾ أى فلهم ثـــواب غـــير مقطـــوع عنهـــم وهو الجنـــة ﴿ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ ﴾ الخطاب للإنسان على طريقة الالتفات أى فما سبب تكذيبك أيها الإنسان بعد هذا البيان وبعد وضوح الدلائـــل والبراهـــين؟ ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴾ أى أليس الله الذى خلق فأبدع بأعدل العادلين حكما وقضاء وفصلا بين العباد؟ ويسن القول بعد سماع الآية الكريمة أن يقول المؤمن بلى وأنا على ذلك من الشاهدين.

الإعراب:

وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝ وَطُورِ سِينِينَ	الواو حرف قسم وجر، التين مقسم به مجرور، والزيتون عطف وطور سنين عطف أيضا وسنين مضاف إليه مجرور وهو علم أعجمى ممنوع من الصرف.
وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ	عطف على ما قبله البلد بدل من اسم الإشارة والأمين نعت.
لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ	اللام جواب القسم، قد حرف تحقيق مبنى على السكون، خلقنا فعل ماض مبنى نا الفاعلين، الإنسان مفعول به منصوب، فى أحسن جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال من الإنسان، تقويم مضاف إليه مجرور.

(١) تفسير القرطبى ١١٥/١٩.
(٢) تفسير الألوسى ١٧٦/٣٠.

ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ	ثم حرف عطف مبنى على الفتح، رددناه فعل وفاعل والضمير فى محل نصب مفعول به، أسفل سافلين حال من المفعول واختار آخرون أن يكون صفة لمكان محذوف أى مكان أسفل سافلين والأرجح أنها مفعول ثان لرددنا لأن ردَّ ينصب مفعولين لقوله تعالى "لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا حسدا" فالضمير فى محل نصب مفعول أول، وكفارا مفعول ثان وحسدا مفعول لأجله منصوب.
إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ	إلا أداة استثناء، الذين فى محل نصب على الاستثناء، آمنوا فعل ماض مبنى والواو فاعل والجملة صلة الموصول، وعملوا عطف على آمنوا الصالحات مفعول به منصوب بالكسرة نيابة عن الفتحة جمع مؤنث سالم ويمكن القول إلا بمعنى لكن والذين مبتدأ وخبره فلهم أجر فلهم الفاء رابطة لما فى الموصول من معنى الشرط، ولهم جار ومجرور خبر مقدم وأجر مبتدأ مؤخر وغير ممنون نعت لأجر وممنون مضاف إليه مجرور.
فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ	الفاء هى الفصيحة، ما اسم استفهام إنكارى فى محل رفع مبتدأ وجملة يكذبك فى محل رفع خبر، بعد ظرف مبنى على الضم لانقطاعه من الإضافة لفظا لا معنى، بالدين جار ومجرور.
أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ	الهمزة للاستفهام التقريرى ليس فعل ماض ناقص والله اسمها مرفوع بالضمة الظاهرة بأحكم الباء حرف جر زائد أحكم مجرور لفظا منصوب محلا خبر ليس، الحاكمين مضاف إليه مجرور.

من ألوان البلاغة

لقد اشتملت السورة الكريمة على بعض الصور البلاغية نذكر منها:

- المجاز العقلى بإطلاق الحال وإرادة المحل فى قوله تعالى ﴿ وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ﴾ حيث أراد موضوعها بالشام وبيت المقدس على القول الراجح.

- الطباق بين ﴿ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ و ﴿ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴾.
- جناس الاشتقاق فى قوله تعالى ﴿ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴾.
- الالتفات من الغيبة إلى الخطاب زيادة فى التوبيخ والعقاب فى قوله تعالى "فما يكذبك".
- الاستفهام الذى يراد به التقرير فى قوله تعالى ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴾.
- السجع الجميل غير المكلف فى السورة كلها.

obeikandl.com